

أضواء البيان

7 ! @ 218 @ 7 ! قوله تعالى : { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا^١ أَمْرَهُمْ^٢ وَهُمْ^٣ يَمْكُرُونَ^٤ } . لم يبين هنا هذا الذي أجمعوا أمرهم عليه ، ولم يبين هنا أيضاً المراد بمكرهم . ولكنه بين في أول هذه السورة الكريمة أن الذي أجمعوا أمرهم عليه هو جعله في غيابة الجب ، وأن مكرهم هو ما فعلوه بأبيهم يعقوب وأخيهم يوسف . وذلك في قوله : { فَلَمَّآ ذَهَبُوا^٥ بِهِ^٦ وَأَجْمَعُوا^٧ أَنْ يَجْعَلُوهُ^٨ فِي غِيَابَةِ^٩ الْجُبِّ^{١٠} } إلى قوله { وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ^{١١} عَلَى مَا تَصِفُونَ^{١٢} } . . .

وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم . لأنه أنزل عليه هذا القرآن ، وفصل له هذه القصة . مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضراً لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به ، وجعله في غيابة الجب . فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه . .

والآيات المشيرة لإثبات رسالته ، بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه على حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة . كقوله : { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلَاقُونَ^{١٣} أَقْوَامَهُمْ^{١٤} أَيْسُهُمْ^{١٥} يَكْفُلُ^{١٦} مَرْيَمَ^{١٧} } . . .

وقوله : { وَمَا كُنْتَ بِرَجَانِبِ^{١٨} الْغُرُوبِ^{١٩} إِذْ قَضَيْنَا^{٢٠} إِلَيْكَ^{٢١} مُوسَى^{٢٢} الْأَسْفَلَ^{٢٣} } . . .

وقوله : { وَلَئِكَ نَآ^{٢٤} أَنْشَأْنَا^{٢٥} نَا^{٢٦} قُرُونًا^{٢٧} فَتَطَاوَلَ^{٢٨} عَلَيْهِمُ^{٢٩} الْعُمُرُ^{٣٠} وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا^{٣١} فِي أَهْلِ^{٣٢} مَدْيَنَ^{٣٣} تَتَلَوُ^{٣٤} عَلَيْهِمْ^{٣٥} آيَاتِنَا^{٣٦} وَلَئِكَ نَآ^{٣٧} كُنْزًا^{٣٨} مُرْسَلِينَ^{٣٩} } . . .

وقوله : { وَمَا كُنْتَ بِرَجَانِبِ^{٤٠} الطُّورِ^{٤١} إِذْ نَادَيْنَا^{٤٢} وَلَئِكَ رَّحْمَةٌ^{٤٣} مِّنَ^{٤٤} رَبِّكَ^{٤٥} } . . .

وقوله : { مَا كَانَ لِيَ^{٤٦} مِنْ^{٤٧} عِلْمٍ^{٤٨} بِإِلَهِ^{٤٩} الْأَسْفَلَ^{٥٠} إِذْ يَخْتَصِمُونَ^{٥١} إِنَّ يُوْحَىٰ^{٥٢} إِلَيَّْ^{٥٣} إِلَّا^{٥٤} أَرْسَمَّا^{٥٥} أَنْزَا^{٥٦} نَذِيرٌ^{٥٧} مُّبِينٌ^{٥٨} } . . .

وقوله : { تِلْكَ^{٥٩} مِنْ^{٦٠} أَنْزِيلِ^{٦١} الْغَيْبِ^{٦٢} نُوْحِيهَا^{٦٣} إِلَيْكَ^{٦٤} مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا^{٦٥} أَنْتَ^{٦٦} وَلَا^{٦٧} قَوْمُكَ^{٦٨} مِنْ^{٦٩} قَبْلِ^{٧٠} هَٰذَا^{٧١} } . إلى غير ذلك من الآيات . .

فهذه الآيات من أوضح الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم ، رسول كريم ، وإن كانت المعجزات الباهرة الدالة على ذلك أكثر من الحصر . قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ^{٧٢} أَكْثَرُهُمْ^{٧٣} بِاللَّهِ^{٧٤} إِلَّا^{٧٥} وَهُمْ^{٧٦} مُّشْرِكُونَ^{٧٧} } . قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعامر

الشعبي ، وأكثر المفسرين : إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس ، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته . . .
فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدير شؤونهم ، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً ، كقوله : { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رَوْضُ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَيِّتِ